المستغفر لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب المغفرة وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من الاشراك والمعصية
الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال
الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد **يمتعكم متاعا حسنا** يعني انكم اذا فعلتم ما امرتم
به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل يبسط عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون به في امن
وسعة وخير فالنعيم العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور **الى اجل مسمى** يعني يمتعكم متاعا حسنا الى حين
الموت ووقت انقضاء اجالكم **فان قلت** قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق
على الرجل في بعض اوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه فكيف الجمع بين هذا وبين قوله يمتعكم متاعا حسنا الى
اجل مسمى **قلت** اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما اعد الله له من الخيرات
والثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضي الى ذلك المعد له واما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة
الى ما اعد الله له في الاخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما اعد الله له
في الاخرة واما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات انما ذلك لاجل رفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان
الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع احواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع احواله
وقوله تعالى **ويؤت كل ذي فضل فضله** اي ويعطي كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الاخرة قال ابو العالية من كثرت
طاعته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الجنة تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من
زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته
وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن
عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم
يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب
احاده اعشاره وقيل معنى الاية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته **وان تولوا** يعني وان تعرضوا
عما جاءكم به من الهدى **فاني اخاف عليكم** اي فقل لهم اني اخاف عليكم **عذاب يوم كبير** يعني في الاخرة عذاب النار
الى الله مرجعكم يعني في الاخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته وقوله **وهو على كل
شيء قدير** يعني من ايصال الرزق اليكم وثوابكم وعذابكم في الاخرة قوله تعالى **الا انهم يثنون صدورهم** قال
ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم من الشحناء والعداوة
من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن عبد الهادي نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر
برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي
ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم اي يعرضون
بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني **ليستخفوا منه** معناه ليخفوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من
الله عز وجل ان استطاعوا **الا حين يستغشون ثيابهم** يعني يغطون رءوسهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور
ومعنى الاية على ما قاله الازهري ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم
في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عباد بن جعفر
المخزومي انه سمع ابن عباس يقرا الا انهم يثنون صدورهم قال سالته عنها فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا

فيفضوا

فيفضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزلت ذلك فيهم وقوله تعالى **وما من دابة في الارض** الدابة
اسم لكل حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل ذي اربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه
الاطلاق فيدخل فيه الادمي وغيره من جميع الحيوانات **الا على الله رزقها** يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على
سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظ على بمعنى من اي من الله رزقها قال
مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا **ويعلم مستقرها ومستودعها** قال ابن عباس مستقرها
المكان الذي تاوي اليه في ليل او نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها
ارحام الامهات ومستودعها المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة والنار والمستودع القبر **كل في كتاب
مبين** اي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام وكان عرشه على الماء** يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة
فصارت ماء ترتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على
الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب
سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله وكان عرشه
على الماء على اي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات
والارض ثم قبض قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات في يومين
ثم اخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض
في يومين ثم فرغ من اخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء دليل على
كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له اساس على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو
العرش العظيم والسموات والارض على الماء فهذا دليل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين
قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فاتى ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى
يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل
اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئناك لنتفقه في الدين ولنسالك عن اول
هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر
كل شيء ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب ينقطع دونها
وايم الله لوددت انها ذهبت ولم اقم عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق
خلقه قال كان في عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء وخلق عرشه على الماء اخرجه الترمذي وقال قال احمد
قال يزيد العماء اي ليس معه شيء قال ابو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم
كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما فجميع ذلك غير الله وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق
الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وقوله في عماء وجدته في كتابي عما مقيدا بالمد فان كان في الاصل
ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله في عماء اي فوق سحاب مدبرا له وعاليا عليه كما قال ءامنتم من
في السماء يعني من فوق السماء وقال لاصلبنكم في جذوع النخل يعني على جذوعها وقوله ما فوقه هواء اي ما فوق
السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء اي ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العماء مقصور والعمى
اذا كان مقصورا فمعناه لا شيء ثابت لانه مما عمي عن الخلق لكونه غير شيء فكانه قال في جوابه كان قبل ان
يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء اي ليس فوق العمى الذي لا شيء موجود لا فوقه

Copyright © King Saud University